مجموعة **قصصية بعنوان:**

عوالم لا تراها العيون

بقلم أماني احمد اسكندراني

إهداء

إلى من كانت سبباً في كل هذا الجنون .. (د)

إلى من أهديها بشكل خاص قصة " بعبعي"... (و)

إلى من ساهمت في جعل الجنون حقيقياً في مخيلتي .. (م)

إلى من كانت هي الجنون بعينه... (أ)

مقدمة من الكاتبة:

الحَيُّ ليس مجرد مكان. إنه كائنٌ حيٌّ له نبضٌ خاص، ذاكرةٌ جمعية، ونَفَسٌ خفيٌّ يحمل رائحة القهوة البائدة، وزفرات اليأس، وصـــدا القدَر. هذا الحيُّ هو منطلقُ مجموعتي القصصية؛ عالماً موازياً يخبئ في طرقاته المتشابكة، منازله المتلاصقة كأسـنان مُصـفَّرة، وعماراته الشـاهقة كشـواهد قبور، حكاياتٍ تفضـي المكبوتات الدفينة في اللاشـعور الجمعي. حكاياتٌ لا تكتفي بكشـف الوجه الآخر للبشـر، بل تمزق القناع الرقيق الذي نسـميه "الطبيعي" لتظهر ما تحته: الحقيقة المشـوَّهة التي تشبه رسماً طفولياً مُمزقاً، والنفوس المريضة التي تَهذي بصمت في عزلة الغرف المغلقة.

إنها عوالم لا تراها العيون السـطحية. عوالم تُرى فقط بعين القلب المُنهَك، أو ببصـر الخيال المُصـاب بالحمّى. عوالم تطفو على السـطح فجأة، كجثة في بركة راكدة، ثم تعود لتغوص في الأعماق حاملة معها أسئلةً بلا أجوبة.

لذا، عزيزي القارئ وعزيزتي القارئة، هيّئا نفسـيكما لرحلةٍ شـاقة. رحلةٍ تنقلكما من كائنٍ حيّ إلى آخر، من وعيٍ إلى وعي، من جحيم شخصي إلى آخر. فأنتما لن تريا حقيقة البشر فحسب، بل ستختبران العالمَ من منظور كلّ كائنٍ حي: من رجل يرى نفسـه كحيوان منقرض منذ آلاف السـنين، إلى رجل تتحول ذاكرته إلى متاهة من الأبواب المغلقة، إلى حشـرة تقرأ بفلسـفة عالم البشـر . وحتى من منظور كلِّ كائنٍ متحجّرٍ تحت الأنقاض.

هذا الحي لا ينام.. بل يَهذي. ويهذي بعنف. تهذي جدرانه بالأصـــداء المكبوتة: صـرخات مكتومة في الوسـادة، ضـحكات مُصـطنعة في الزيارات، أنات لحظات الوحدة القاتلة. وتهمس أنابيبُ صرفاته بالأسرار التي غسلتها مياه الاستحمام – مياه حاولت أن تزيل وصـمات الأيدي المُذنبة – والدموع المحرقة التي سـالت في صمت كي لا يسمعها أحد. كلُّ نافذةٍ مضاءةٍ في الليل ليست مجرّد مصباح، بل عينٌ مفتوحةٌ على كابوسٍ ما: ربما كابوس رجلٍ يفقد إحسـاسـه بقدرات ألفه، أو امرأةٍ تحلم بأن تتحول إلى طائرٍ لتطير من قفصـها، أو امرأة ترسـم على زجاج النافذة عالماً تكون فيه الأحجام منطقية.

عبر هذه الشـــرفات المتقابلة، كخطوط اتصـــال غير مرئية، تنتقل عدوى الوعي المرضـــية. إنها عدوى لا تنتقل عبر الهواء أو باللمس، بل تنتقل على أجنحة الفضول المريض الذي يثقب حجب الخصوصية، وفي صمتٍ متواطئ عندما نغض الطرف عن الألم المجاور، وضمن وَحَمَة ألمٍ مشتركة تشدّ النفوس المعذَّبة بعضها إلى بعض بخيوط غير منظورة. هنا، في هذا الحيّ، الوحدة ليست فراغاً مُريحاً، بل هي وسطٌ خصبٌ ينقل الأمراضَ النفسية بسرعة النظرة الخاطفة، وبقوة الصدفة العابرة. الحقيقة هنا ليســـت واحدةً، ثابتةً، واضـــحة. بل هي متعددة الأوجه ومشوَّهة، كانعكاسٍ في مرايا محلِّ الزجاج القديم عند نهاية الزقاق – مرايا تشوّه الصور وتطيلها وتقصّرها حسب زاوية السقوط، فلا تعرف أين ينتهي انعكاسك وأين يبدأ تشوُّه المرآة ذاتها.

أنتم، أيها القرّاء، على وشك دخول متحف حيّ للأمراض الوجودية. متحف لا تُعلَّق لوحاته على جدران، بل تعيش في شقق وتتنفس وتتألم. هنا ستسمعون همسات الجدران التي تخبئ طبقات من الألم. هنا ستُبصرون العالم عبر عيونٍ أضاعت بوصلتها الداخلية: عيون ترى الوقت سائلاً، والأبعاد متقلِّبة، والأصوات ألواناً، والألوان أطعمة. هنا ستلمسون رعبَ من فقد السيطرة على عقله، ويأسَ من فقد الأمل في خلاصه.

لكن احذروا، بل دعوني أكون صـــريحة: لا تظنّوا أنكم منيعون. فقد تجدون بين سطور هذه الحكايات صدىً لصرخةٍ دفينةٍ فيكم أنتم. ربما صرخة خوف من الفقد، أو رغبة مكبوتة في التحطيم، أو حنين إلى حزن ما. قد تجدون خيطاً من ظلٍّ كنتم تحســـبونه قد انمحى من حياتكم، واختفت آثاره، لكنه لا يزال يعيش في زاوية مظلمة من قلوبكم. هذه القصص مرايا، وإن كانت مكسورة.

نعم، هذه ليست قصصاً عن "آخرين" ننظر إليهم من برجنا العاجي. بل هي مرايا مكسورة، كلُّ قطعةٍ منها - مهما كانت صغيرة أو حادّة الحواف – تعكس جانباً من جنوننا الجماعي الخافي. ذلك الجنون الهادئ الذي نعيش به يومياً: جنون الروتين القاتل، جنون الابتسامات المُجبَرة، جنون حربنا السرية ضد ذواتنا.

سنبدأ الرحلة من زاويةٍ واحدةٍ مكشوفة... بقصةٍ تُروى على لسان مَنْ؟! سأدعكم تخمّنون، لكني أحذّركم: الراوي قد لا يكون إنساناً بالمعنى الذي تفهمونه. قد يكون كائناً التقط الذبذبات اليائسة لبني البشر، فبدأ برؤية العالم من خلال عدسة آلامهم. إنها تحكي قصتها بعد حادثٍ غيَّر كلَّ شيء، لتبدأ بالتصرف بلا منطقٍ وبلا عقل، رغم أنها أساساً لا تمتلكهما. ثم نعود إلى مَنْ تسبَّب بهذا الحادث، لنعيشَ بعضاً من مأساته عبر لسان راوٍ آخر. وسنكتشف أن الجلاد ضحية، وأن الضحية جلاد، وأن الخط الفاصل بينهما رفيع كخيط العنكبوت الهش.

في المكان نفسه، والحيّ نفسه، والطريق نفسه الذي شهد الحادث، نكمل الحكاية من زاويةٍ أخرى. على لسان شخصٍ آخر يرى العالم بطريقةٍ مختلفةٍ كلياً: ربما يرى المشاعر ألواناً تطفو فوق رؤوس الناس، أو يسمع أفكار الجيران كهمس منخفض. من هذه النقطة، ننتقل بسرعة إلى العالم تحت الأرض – عالم الأنابيب والأسلاك والأساسات. حيث تكمن الأسرار المخبأة حقاً: العظام الرمزية للذنوب القديمة، الصناديق المدفونة التي تحوي صوراً لأشخاص مُسَحوا من الذاكرة العائلية، الجذور الخفية للأشجار التي تنمو لتحكي حكايات الموتى.

ثم نعود إلى السطح، إلى ضوء النهار الخادع، لنكمل تفاصيل قصص أبطالنا الذين هم في الحقيقة لا أبطال. إنهم ناس عاديون انحرفت بهم الحياة أو انحرفوا بها: من مشوَّه جسدي يحمل ندبه على جلده، إلى مشوَّه نفسي تحول قلبه إلى متاهة مظلمة، إلى مشوَّه فكري أصبحت أفكاره سجناً لا يملك مفتاحه... إلى حكيم بلا حكمة يعطي النصائح وهو أغرق الناس في بحر مشاكله، وعالم بلا علم جمع المعرفة كالغبار ولم يعرف كيف يبني منها بيتاً... وهكذا دواليك، في سلسلة بشرية من الكسر والانتظار.

لنختم حديثنا، لكن ليس نهايتنا، على لسان مَنْ يتناقلون الغيبة والنميمة مع فنجان قهوةٍ صباحي على بلكونة المنزل. في جلسة يومية تبدو عادية، لكنها في الحقل ستشعركم وكأنكم دخلتم عالم الجنون بعينه. ستسمعون كيف تتحول المآسي إلى فكاهة سوداء، والمعاناة إلى مادة للتسلية، والألم إلى نقاط في لعبة ثرثرة لا تنتهي. ستخرجون من تلك الجلسة لاهثين، منهوكين، تعانون آثاره كمن استنشق غازاً ساماً ببطء.

فهل أنتم مستعدون، حقاً، لاستلام مفتاح الشقة الأولى، حيث ينتظركم أول الأصوات في هذه الجوقة المعتلة؟! المفتاح بارد في اليد، وثقيل بعض الشـــيء. والباب يصرخ بصمت حين تلمسه.

لكن دعوني أحذّركم تحذيراً أخيراً، من القلب: بعد أن تدوروا في أركان هذا الحي، وتتسلقوا سلالمه المظلمة، وتتنفسوا هواءه الثقيل بالأسرار... لن تعودوا قادرين على مغادرته. لأنه لن يترككم. سيسكن في زاوية من وعيكم، كذكرى حية لمرضٍ لم يُشـخَّص بعد. مرضٍ نحمل جراثيمه جميعاً، لكنها تظل خاملة حتى تجد الظروف المناســبة للانفجار. ولو شُـــخِّص هذا المرض، فلن يُكتشـــف أبداً... لأن بعض الحقائق عن النفس البشـــرية تكون قاتلة إذا عُرِفت. وأحياناً، يكون الجهل بالذات هو النعمة الوحيدة المتبقية لنا في هذا العالم الملتوي.

خذوا أنفاسكم العميقة الآن. ادخلوا. الباب يفتح...

لأبدأ بفصول الجنون التي لم ولن يعهدها أحد من قبل.....

عدوى نفسية

كنت أقف في الطريق العام قرب مكان يعج بالمأكولات الشـهية والغنية، لكنه فاجأني بظهوره المنحرف والمشوه، يحدث نفسه ويدور حولها، ويبدو أنه يرغب بمشاركتي وجبتي، كان يمسـك ألفه، ثم بدأ يوجهه في كل مكان دون مراعاة لمن حوله، حاولت تجاهله قدر الإمكان.

لكنه أصر على الاتجاه نحوي وإزعاجي، وها هو يحاول الامساك بي، لكنني دافعت عن نفسي، وكم أتأسف لنفسي لهذه الخطوة التعيسة.

لمت نفسي كثيراً على فعلتي هذه، كان يكفي أن أهرب من أمامه وينتهي كل شيء.

أشــعر بشــعور غريب يتســلل إلى نفســي وعقلي، بعد ملامســتي له...أشــعر بأنني دوباميـنية .. أي مفرطة في إفراز الدوبامين..

أسير بلا هدى، وأناظر من أمامي، يبدو أنهم قد اختلفوا بطريقة أو بأخرى.

الطرق والشجر والناس، كلهم يبدون مختلفين، حتى أحجامهم قد اختلفت.

أشـعر بطاقة رهيبة وقوية تدفعني لفعل أي شـيء، أرغب أن أدور وأقفز، لا هذا ولا ذاك، ربما هو شـــيء أقوى، أن ألامس كل فرد أراه أمامي دون خوف أو اعتبار لمدى قوته أو جنسه.

أرغب أن أكون متلاصـقة مع ما كنت أشـمئز منه سـابقاً، إنني أراه الآن أمامي بلونه البني الغامق واللامع، إنه يبدو ساحراً ويركض بسرعة، أنادي عليه:

" قف أرجوك... انتظرني... "

ينظر نحوي باستغراب ثم يتابع سيره وكأنني غير موجودة.

ضـحكت في سـري فأنا أسـرع منه بكثير ولو رغبت لسـبقته ببضـع خطوات فقط.. فقدمي طويلة ورشيقة.

ثم ما باله ينظر لي شذراً وأنا التي تفوق الإناث جمالاً وحسناً... حتى الإناث اللواتي من بيئته نفسها لن يكنّ أجمل مني..

حدثت نفسي.. " لست نوعي المفضل .. برأسك المسطح ذاك ..وعينيك الصغيرتين"

يا الهي ما هذا .. إنه ساحر ... وسيم .. رشيق... يا إلهي عضلات فخذه رهيبة ... أرغب أن أجلس عليها .. لا أستطيع المقاومة.. أشعر بجسدي ينتفض.. سأدور حول نفسي .. لا لا سأحرك رأسي يمنة ويسرى .. لعله ينتبه لجمالي وحسني .. ولوني .. "

أصرخ عليه بصوت عالٍ..

" هيييه.. أنت .. أيها الطويل .. انتظرني .. "

يتلفت حوله وكأنه لم يسمعني ...

" لو ينظر لعيني الكبيرتين ... ولحنكي الواسع الذي أعتقد أنه على الموضة.. سينال إعجابه حقاً.."

أعود وأناديه ... ثم ألتصق به بحركاتي السريعة .. ألامس جسده بجسدي... يبتعد بحركة مفاجئة وعالية ...

أصفر بفمي لقدراته .. يبدو رائعاً ... ..

"هيا أيها الذكر .. ما بك .. امتطيني .. لنفعلها معاً "

يبتعد عني ويبدأ بالتغريد .. إنه أحمق وسطحي.. يفرك قدميه بيديه .. هل هو مجنون ..

أشعر بالجوع مجدداً.. جوع شره .. علي أن أتناول طعاماً مختلفاً..

" ما هذا .. إنه طعام شهي .. علي أن أتناوله بسرعة.."

لا أستطيع .. إنه طعام كبير .. وكثير... أرى الطعام ينظر لي نظرة صياد لفريسته ... إنني منهكة حقاً... عيناي تؤلماني ..

يجب أن أبتعد كي لا يبتلعني الطعام .. "

أشعر بشخص يتحرك خلفي يوازي سرعتي ...يجب أن أسرع أكثر.. إنه يلحق بي .. كلما أسرعت... أسرع .. وكلما توقفت .. توقف .. انحرفت عن الطريق ودخلت طريقاً فرعية جانبية .. أعاود النظر خلفي .. فأراه مجدداً.. ما الذي يريده مني .. علي أن أتصرف ... ألهث بسبب السرعة .. الشمس قاربت على المغيب.

وبعد اختباء الشـــمس... أتلفت حولي فلم أعد أراه .. إنه يخاف الظلمة .. هذا جيد وغريب في الوقت نفسه... لكنني مرهقة .. سأجلس قليلاً.. ثم لا أنتبه لمرور الوقت .. وأغط في نوم لا أعلم إن كان عميقاً... أم خفيفاً...

لأنني أســـتيقظ بعد فترة .. ربما قليلة وربما طويلة .. لكن ضـــوء القمر ســـاطع .. والشمس ما زالت في مخبأها..

أستمع لصـوتها تتراقص على المنحدر.. صـوتها هو من أيقظني .. علي أن أرد لها الصاع صاعين ..

إنها راقصة منحرفة وشاذة وتملأ الدنيا ضحكاً .. ضحكاتها خليعة وتافهة...

أهجم عليها .. أضربها بيدي .. تبلل جسدي بالماء .. إنها سيئة .. أقول لها :

" تكلمي ... لما أيقظتني .. ماذا فعلت لك.."

تؤثر الصمت .. وهذا يدفعني للجنون..

ثم أتوقف لأرى انعكاس صـــورتي على بقعة مياه ســـاكنة .. أندهش ... أبدو قذرة جداً... لوني الجميل تغير.. فقدت بريقي الجميل ..

قدمي تؤلمني .. إنها منحنية للداخل .. لقد سرت كثيرا جداً..

ومع ذلك ما زلت أشـــعر بحيوية متدفقة في داخلي .. إنني أراه .. لامع .. براق .. لونه أبيض كالثلج .. صافي .. أرغب به بشدة .. سأقترب منه قليلاً... إنه لا يبتعد .. يبدو أنني أعجبه .. فها هو يبرق لي .. سأفعلها معه .. لن أتردد.. يبدو جذاباً جداً...

أشعر بالألم .. ألم عميق .. إنني أتمزق ..

لكنه ألم جميل ..

كما يقال.." أنت تتألم .. إذن أنت موجود .. لا لا أعتقد أنها تقال هكذا .. "

إنني منهكة تعبة .. مرهقة .. كل شيء حولي بات باهتاً.. رمادياً.. وأسودا..

صـــرت غلافاً فارغاً ينضـــح بذكريات الحياة، مملكتي الداخلية انهارت أمامي كأن زلزالاً صـامتاً مزق خرائط أعضـائها، وأمعائي صـارت خيوطاً سـوداء مبللة تتدلى كأشرطة مكسورة من آلة موسيقية.

أصـبحت أنضـح يأسـاً كيميائياً، رائحة ميتة حلوة كفاكهة متخمرة جذبت إليها كائنات غريبة.. فها هو الذباب الأزرق يحوم ككهنة طقوس الموت، يشمون الوليمة القادمة.. والنمل - جنود النظام الطبيعي - يسـيرون في طوابير صـامتة نحو الجثة الحية.... وعناكب الأرملة السوداء تتحسس الاهتزازات عبر خيوطها: "هناك شيء ينهار"

حتى النباتات المحيطة بدت تميل بعيداً، كأنها تتنحى عن مشـــهد الخزي الذي أمر به.

كم مضـــى وأنا مســـتلقية على ظهري .. بالتأكيد الجميع يتلهف للانقضـــاض على جسدي.. إنهم يشتهونه.. وها هو يأتي مسرعاً ولاهثاً.. لعابه يسيل .. لكن ماذا .. إنه حتى لا يلتفت لي.. رفض منحي حتى هذه النهاية ..

إنني أستسلم ...

رويداً .. رويداً.. أرجلها الســـت تشـــنّجت مرة واحدة، كأنها تتذكر فجأة كيف كانت تركض... هوائياتها ارتخت تماماً، ســـقطت كخيطين حريريين مقطوعين...وفكها الأسفل فتح قليلاً، كأنها تريد قول شيء، لكن اللغة الحشرية ليس فيها كلمة لـ "لماذا"

كان النمل أول الواصـلين: بدأ بنقل بيضـها الذي لم تضـعه أبداً.. وذباب اللحم وضـع بيوضـــه في الفجوات بين دروعها... الصـــدفة الفارغة صـــارت فندقاً لمخلوقات أصـغر... والألوان المعدنية تلاشـت تماماً في سـاعتين، كأن الحياة كانت فقط طبقة رقيقة من الدهان... .

وربما الشيء الجميل أن العدوى النفسية لن تنتقل مرة أخرى .. فربما ماتت معها..

النهاية

حرباء بسبعة أرواح

كنت أشعر أنني انتهيت .. كانت لمسة قوية كافية لتقتلني..

صوت آخر يتحدث:

" هيا .. انهض .. كم أنت ضـــعيف .. إنها مجرد حشـــرة صـــغيرة تافهة وعديمة النفع.."

" دعني وشأني .. واغرب عن وجهي الآن .. "

الصوت:

" أنت تافه كهذه الحشرة .. أنظر لقد استطاعت الهرب منك بعيداً.."

الصوت بسخرية:

" أرى ألفك بوضوح.. إنه أعوج ومنحني .. لا يصلح لشيء... هههههه"

أشعر بالغضب يتملكني من محادثته ... ثم .....

أفتح عيني، إنه ظلام دامس حولي، تلمس بشرتي يد رقيقة وناعمة، إنها يد صغيرة، أحاول تحريك ذراعي لكنني لا أســتطيع، أرغب ملامســتها وشــم رائحتها، أحاول تحريك قدمي فلا أنجح أيضــاً، هناك ضــوء برتقالي بدأ يشــتعل يملأ المكان، بدأت أرى، وأســمع صــوت عالي ضــخم يهدد الوجود ويمنع من الاقتراب، أشــتم رائحة الشـــواء، إنه أمامي يذوب وينهمر على الأرض كذرات رمل ناعمة مفتتة مقرفة، تتدحرج كرته الملونة الزرقاء على بطني ثم تلامس وجهي، إنها تقترب من فمي، أتمكن من فتح فمي وأمضغها ببطء ببطء شديد، مستمتعاً ومتلذذاً بكل ذرة فيها.

ثم نور ســـاطع يعمي عيني، فأغلقهما لفترة تبدو آنية ثم طويلة .. طويلة جداً...مع شعور بالألم يخفو ويخفو تدريجياً..

أرى كل شيء أبيض اللون، أتماهى معه كما تتماهى الحرباء.. بإرادتي .. أنا فقط.

تتسع الغرفة وتتسع وتكبر ...

الصوت: "عليك أن تحاول الهروب .. لن يسرك أن يتكرر الأمر .."

" أنا ... أنـ..ـا ... أنـ..ـا..خائف"

صوت شيء يفتح من بعيد، أسمع أصوات تيك تاك .. تيك تاك .. تيك .. تاك..

" لاااااااااااا....."

الصوت:

" انهض .. يا حمار ... "

أصوات عديدة .. تتدافع .. تتجادل.. تبكي .. تصرخ ..

الصوت:

" لماذا تقفون كالحمقى.. هيا .. أمسكوا بابن الحرام.. "

تأوه ولون أحمر على الأرض بدأ ينسـاب، الملمس تحت أظافري، ملمس رقيق ناعم مليء بالمرطبات،

وصرخة قوية..

أصوات:

" إنه شيطان ... "

أصــوات ارتطام بالأرض، وســلاســل تســحب وتقيد، والعديد من الصــرخات تملأ المكان...

ثم من جديد .. يدي وقدمي متيبسة ورطوبة عالية..

صوت ضخم يزمجر غاضباً:

" سأعيد لك عقلك الآن .. "

أصوات أبواب عديدة تغلق، وصوت زئير يرغب بالخروج، وصوت صغير يبكي، وأصوات أصوات.

ثم فمي يخرج الصوت الذي لا أحبه، يترافق مع أمطار في غير موسمها.

صوت طبول عالية، ومسجل معطل يعمل وحده، وبعدها يبدأ كل شيء بالارتعاش.

أبتسم، سيحدث الآن، حان الوقت، سيظهر.

الصوت:

" يا ابن الكلب .. سأجعلك تدفع غالياً جداً..."

طافت العين على ما حولها، اتسعت، وبرزت الأنياب.

ثم عم الصمت.

الصوت:.. تنهيدة عالية وصوت زفير كالنهيق

" يكفي اليوم ..."

شـــمس تلامس وجهي، أفتح عيني، أشـــعر بثقلهما، أحاول أن أرفع يدي، أشـــعر بالإرهاق والفراغ، أنظر للأسفل... أرى شيئاً غريباً منفراً.. معوج وطويل.. أصرخ ملأ فمي..... ثم..

ربما من الجيد في بعض الأحيان أن تســـتيقظ وترى نفســـك كما ولدت أمك.. ربما لتكتشف من أنت حقاً.

النـهاية

ظلمة فوق ظلمة

كنت أرغب بالتقدم، فالرائحة شـــهية ومختلفة عن الأماكن الأخرى، هذا المكان مدهش ومليء بالطعام، أنظر إليه من بعيد.

لكنني أتراجع ... أختبأ خلف حصن كبير، من بين أجهزة صغيرة أراقبه من بعيد.

إنه بالتأكيد هو، المرسل رقم ١٠١.

إنه يبدأ بفحص المكان ثم يرسل إشعاعاً أصفر اللون عبر جهاز رفيع وطويل.

يصرخ وينادي، ثم...

هناك جهاز صـــغير أســود اللون يضـــعه على رقبته .. ثم ينزعه.. إنه جهاز تعقب صغير... إنه يتحرك بسرعة سوف يرصد مكاني ... علي تغيير مكاني فوراً.

الصـــوت: " ســوف يلحق بك .. هيا تحرك ...توجه للمنطقة العازلة.. إنها مســيجة ومحاطة بأسلاك كهربائية تمنع هذا الجهاز من المرور . "

أسرع خطواتي .. يشتد عرقي... أرى إشارة أخرى مرسومة وملونة وواضحة كتب عليها العنوان المنشود.

أمسك بها .. أسمع صراخاً.. أسرع أكثر..

أراه من جديد أمامي .. لقد تنكر.. يبتسم لي بمكر.

ثم الرائحة نفسها، حان الوقت، ضباب أسود كثيف يحيط بي، وأصوات عالية.

أدوس بقدمي بقوة لإيجاد المخرج الخفي، لكنه لا يعمل، أشـــياء تتحرك بشـــدة وتلامسني من جميع الجهات.

ثم .... نداء .. أتبعه، وأتعقب الصـــوت، ليلفني شـــيء ما، ثم وكأنني في دوامة لا تتوقف تدور وتدور، ... إنني أستسلم لقدري، لقد نالوا مني هذه المرة مجدداً.

ربما ليس من الجيد أن نعيد من تحرر لمكان يعده سجنه الأبدي.

النهاية

حوار في الضريح المهترئ

ألا يكفيني هـذا المنظر المريع، والرائحــة المثيرة للإشـــمئزاز، حتى تكتمـل السينوغرافيا بهم.

" ما الذي يضايقك.."

" وتسأل أيضاً.. ألا ترى كل ما يحدث حولي.."

" وإن يكن .. ماذا يعني؟؟."

" بالتأكيد وما الذي يهمك... أنت مجرد شيء بلا قيمة.. "

" لماذا تتحدث معي بهذه الطريقة .. أخبرتك مراراً.. أنني أتألم من هذه العبارات.."

" ومنذ متى نما لديك هذا الشعور .. يا أبو شعور.."

" كفاك سخرية .... أنـ."

"حسناً .. لماذا توقفت عن الحديث... تعلم أنني على حق.. "

" أنت تتكلم بالألغاز .. أي حق.. "

" انظر حولك وستعرف قيمتك ومكانك .. "

" إنهم طيبون ويأتون لزيارتي دائماً.."

" هههههه... إن هذا كرم كبير منهم.."

" ثم ما بال هذا المكان لا يعجبك .. إن له عندهم قيمة دينية كبيرة"

" هههههههه..... هههه .. قلت لي كبيرة ..."

" هيه... توقف ... ما الذي يجعلك تضحك كالمجنون...."

" أنت ... هههههههه... كنت وما زلت في أعينهم لا تُرى ... حشـرة تداس بالأرجل ... ولعبة يتسلى بها الصغار... وتمثال تُبرز من خلاله القوة للآخرين .."

" قلت لك .. كفى .. كفاك كلاماً مهيناً عنهم... لا أسمح لك.."

" حقاً... جعلتني أرتعد ... ســـأبلل ثوبي الأبيض... أم حتى أنني لا أرتديه .. لقد نسيت.."

" هذا لا يهم .. المهم ما كنت تفعله .. لا ما ترتديه الآن.."

" هل تضـحك على نفسك؟ أم علي ؟؟!!!.. انظر لم يكلفوا أنفسـهم عناء ثوب جديد .. بل اكتفوا بملابسك المهترئة .."

" هذا لأنهم يثقون أنني لست بحاجة لها .. وأنّ عملي هو ما يضيء جسدي ومكان إقامتي ."

" هههههه .. توقف ... توقف .. جعلتني أبدو كالأحمق دائماً.. تافه... ساذج ... بلا قيمة .. كل يوم أسمع كلاماً كسيخ نار يخترق قلبي.. كل يوم أرمى كخرقة بالية مهترئة.. كل يوم أنام وعلى بطني صخرة .. كل يوم أثبت على عود وأتلقى الحجارة للتسلية.. كل يوم أضرب.. أهان... أجوع .. أعطش .. أتجمد من البرد.. أحترق من الشمس ..."

" هذا يكفي .. سئمت من شعورك بالنقص ومن تذمرك الدائم على تصرفات الآخرين ..."

" اخرس الآن ..لا أرغب بسماع صوتك .. صوتك هو ما يزعجني ... تترنم به بآيات وأذكار ... وكأن هذا سيردعهم ."

" إنهم الآن قد فضوا الغشاوة عن أعينهم ...أنظر لعيونهم الدامعة... وقلوبهم المليئة بالحزن .. إنهم يتألمون .. ويأتون إلي لأخفف عنهم..."

" هههههههه.. قلت لي يأتون إليك .. أم يأتون لما خلفك... لمقلب القمامة الذي يحيط بك كسور عال... يرمون ما بأيديهم ثم يسرعون الخطا..

... أم أنك تقصد الزيارات الأخرى للكائنات الصغيرة التي تقف على بابك .."

" كل كائن يستحق الاحترام مهما صغر حجمه..."

" احترم .. احترم بقى نفسك .. وكفاك ضحكاً عليها ... "

" ما الذي ترمي إليه..."

" أريد أن أريك الحقيقة .. التي تغلق عينيك عنها.. عن منزلك الحالي المتمثل ببضع حجرات .. كل يوم تقذف بقدم زائر .. أم أخبرك .. عن المشهد الساحر الذي يطل عليه بالألون المتعددة والمليئة بالعصارات الصفراء والبيضاء ... والأزهار ذات الرائحة الواخذة .. لا الأخاذة ... وألوانها الباهتة .. أم هل أخبرك .. عن الكائنات الصغيرة التي تعد إطلالتك منزلها .. أم هل أخبرك عن المياه الشفافة الصفراء التي يغسل بها منزلك وما حوله كل يوم... انظر .. ها قد فعلها ثانية .."

نظن أنفسنا بأننا نكرم من أهنّا سابقاً.. بإطلاق مسمّاً دينياً عليه.. لنرفع من شأنه .. ونقلل من وخز ضمائرنا الميتة...

النهاية

هائج كالثور

كنت أقف أمام النافذة المفتوحة على مصـــراعيها، لأســـمح لمن كان ممنوعاً ســـابقاً بالدخول.

وهالني ما رأيت قليلاً ، فربما لم أعد كما عهدت نفسي كالسابق متفاجئة بأبسط شيء تراه.

فكل شيء بات ممكناً بعد كل ذلك.

سنين وشهور والأمور من سيء لأسوأ.

أريد أن أملئ عيناي بكل ما ترياه، أريد أن أملئ رئتي بالهواء، لذا آخذ شـهيقاً طويلاً ثم أزفره بقوة.

أرغب بلمس أشعة الشمس.

أرغب بمداعبة الهواء، أرغب بدغدغة الغيوم.

ثم أسمع صوتها تحدثني:

" من الجيد أنك فتحت النافذة أخيراً.. لأتمكن من رؤية وجهك.."

" إنني مسرورة لأنني أحادثك وجهاً لوجه.. دون حواجز أو عوائق.."

" وجهك جميل رغم مســاحيق التجميل المتعددة التي تصــبغ وجهك بشــدة..... كيف حالك وحال ساديست"

" شكراً لك... هذا لا شيء.."

" هل تكرر الأمر البارحة أيضاً.."

بعد تنهيدة طويلة ..." أجل .. كل يوم أشد من اليوم السابق... لكنّ البارحة كان شيئاً مختلفاً تماماً.."

" ما الجديد فيه..."

" لقد زارني ثور حقيقي.. "

" كيف حدث هذا.."

بنبرة حزينة " كل شيء ممكن...ثور بقرنين كبيرين.. "

" هل ما نراه على التلفاز حقيقي.. هل يحب اللون الأحمر.."

" إنه يحب كل الألوان .. ثم إنّ جسدي يمثل كل الألوان.. "

" هل يحب الحركة .. حركة التلويح التي نراها فيستثار.."

" لا تهم الحركة ... الاستثارة موجودة دائماً.. لا داعي لشيء يثيرها.."

" هل كان هائجاً..."

" أجل .. كـ..."

" ووووو وكيف نجـ..."

" أنت تريننني الآن .. أقف أمامك .. "

" أجل .. رغم أنك ترتدين الكثير من الألوان مع أنّ الجو حار جداً...كيف اسـتطعت فعلها .. "

" لقد شجعتني البارحة حين حادثتك .. وعقدت العزم ونجحت.."

" لقد شوقتني لمعرفة الطريقة .."

" أعمته الرغبة عن رؤية بريقه .. كان لامعاً مخبأً .. تحميه صـــدفة محارة .. لا قوة لديه .. حتى يتم الاقتراب منه .. لم يلعق الشـــفة المبللة ..ككل مرة .. لذا كان الأوان قد فات حين انتبه.."

" هل كان الأمر سريعاً.."

" اســتغرق الأمر بعض الوقت.. لكنني لم أرغب بالانتظار.. قمت بممارســة مهنتي المحببة .. التي جُبرت على الاستقالة منها مبكراً..."

" يبدو أنه قد شعر بالراحة أخيراً... فيد ماهرة مثل يدك تتقن عملها جيداً..."

" بالتأكيد أزلت كل الخلايا السرطانية ... كان المشرط بيدي يتحرك بسلاسة وسهولة ويجتزأ كل ما هو عاطل عن العمل..."

" ماذا فعلت بها.."

" قمت بشــوائها .. وتلذذت بطعمها .. ألا تشــتمين الرائحة... إنها جميلة... انتظري سأحضر لك آخر قطعة..."

" أوووه أنت شرهة.. هل استطعت تناول كل شيء بمفردك..."

" بالتإكيد لا ... وزعت الكثير منها .. وما تبقى وضـــعته هناك انظري.. حيث يقف الرجل ..مشوياً... وشهياً.."

" هذا جميل .. أنت تنجحين دائماً في تحقيق هدفك ... مهما طال الزمن..."

أومأت برأسـها موافقة على كلامها، كانت مبهرجة ومزينة بشـدة والصـبغة تملأ كل مكان في وجهها ورقبتها ويديها وقدميها.

كانت خفيفة حرة، حرة من كل شيء قد يضايقها حتى ملابسها.

مسـحت فمها بظهر يدها وأزالت قطعة لحم صـغيرة كانت على فمها ورمتها بعيداً.. ثم اسـتعدت للرحلة التي انتظرتها طويلاً، لتشـعر بجناحيها المقصـوصـين يكبران ويعيدان تشكيل نفسيهما بمفردهما، ثم تحلق عالياً وهي تصرخ.

ربما نترك مجالاً للصلح والتراجع، لو أن الطرف الآخر قد استدرك الأمر ولم يصر ويستمر ويتابع بنفس الأسلوب والطريقة.

النهاية

أفعى تبدل جلدها

وأخيراً..

"هيا بنا ..لندخل"

" كم هو أحمق.. أرأيت ماذا كان يفعل؟.. إنه مهرج .. "

" دعك منه الآن .. المهم أن لا يرانا أحد"

" لا تقلق .. لنسرع وننفذ فوراً.. ثم نخرج.."

" هل أنت متأكد أنه لا يوجد أحد "

" بالتأكيد .. معلوماتي دقيقة .. "

"أليس للنهار للعيون؟؟... كان علينا الانتظار حتى المساء"

" أصبح الوضع آمناً أكثر في النهار... ثم أخبرتك سابقاً نحن لا نفعل شيئاً خاطئاً"

" وماذا تسمي ما تقوم به .. بطولة !!!"

" كفاك سخرية... نحن نأخذ حاجتنا فقط ونترك الباقي .. "

" وكيف نحدد حاجتنا "

" ما بالك اليوم تسأل بكثرة... نحددها وفق ما هو متاح أمامنا .. "

" لم أفهم شيئاً.. أفهم فقط شيئاً واحداً.. أنني أشعر بالخوف .."

" هذه ليست أول مرة لنا .. أنسيت؟"

" أعلم هذا .. لكن حدسي لا يخطأ .. لا أظنّ اليوم سيكون مثل غيره"

" ماذا تقصد؟"

" لن ننجو.."

" سننجو مثل كل مرة "

" إن شعرت بالخطر سأهرب وأتركك .. "

" لا تستطيع "

" لماذا أنت شديد الثقة ؟"

" لأن لك الكيان نفسه ."

" لا .. بالتأكيد لا .. أنا مختلف."

" لست مختلف .. أنظر إلى نفسك في المرآة "

" لن أنظر .. أنا شيء وأنت شيء آخر .."

" وما أدراك .."

" أنا حساس ورقيق .. وأنت مختلف "

" أنت مضحك.هههههه."

" لا أريد أن أبقى معك .. إن استمررت في تعاملك هذا"

" اخرس الآن .. دعنا ننطلق .. مللت من حديثك الذي لا فائدة ترجى منه"

انطلق مســـرعاً ودخل بقدرته الفائقة وموهبته التي تميز فيها منذ الصـــغر.. كانوا يقولون عنه

" إيديك بتلتف بحرير... "

كان ماهراً، تعلم منذ صـــغره الاعتماد على النفس للهرب، مهما كان العائق أمامه صعباً ومعقداً.

صعد درجات السلم بسهولة كبيرة، ثم استغرق بضع ثوانٍ، وإذ هو بالداخل.

قام بمسح سريع لما حوله، ثم حدد الأماكن بدقة.

أبعد اللوحة العالمية، ثم أدخل الرمز، وبعدها سمع الصوت المألوف الذي يحبه ...

" لقد نجحت.."

" قلت لك .. سننجح وننجو.."

وضع ما أراد بشكل دقيق في جيوبه الداخلية، ومن ثم أعاد الباقي بدقة.

لكن لم يكن بالحسبان .. صوت خطوات أنثوية وفي ظلها خطوات ذكرية في الممر، تبعها صوت ضحكات وغنج.

اشتد تعرقه، لم يحدث معه هذا طوال فترة عمله.

أخرج المسدس الاحتياطي، وبهدوء أطلق.

كان يرتجف حتى أنه بلل سرواله، لم يعد يستطيع الحراك.

" هيا .. ما بالك تقف كالأحمق .. علينا الخروج بسرعة"

" ولكن انظر ماذا فعلنا .."

" لا تقل فعلنا .. أنت فعلتها وحدك"

" ألم تقل لي نحن شخص واحد"

" وهل صدقت كلامي .."

وضع يديه على رأسه بقوة وبدأ يلطم وجهه، ويتأوه ويبكي ..

" يا إلهي .. سيكشف أمرنا بسببه"

" كنت أمزح معك .. هيا بنا .. لم يتعرف أحد علينا"

" لكن .. ما ذنبهما.. أنا قاتل .. قاتل"

" إنهما يستحقان ما حدث لهما .. إنها ساقطة وهذا عشيقها "

" وما أدراك أنت "

" أخبرتك سابقاً.. راقبت كل تحركاتها .. زوجها المغفل الآن في الشركة.. لقد قدمنا له صنيعاً بفعلتنا"

" ماذا نفعل الآن"

قام بجرهما ووضعهما على السرير، ثم خطر بباله شيء أقذر.

جردهما من كل شـيء، وجعل الرجل يمتطي الأنثى، ثم غطاهما بشـرشـف السـرير ليخفي اللون الأحمر المتسرب من جسديهما.

نظر لجســد يعرفه جيداً، ثم أنهى لوحته ووقع بريشــته على ما كان يظنه يوماً كنزه وحده.

وقبع وراء ستارة منتظراً أن يأتي ليتأكد مما قام به.

كان الانتظار طويلاً جداً... لأنه لم ولن ينتهي، ففي النهاية قد تحقق ما أراد.

النهاية

عبثية هيكلية

" هذا المكان يصيبك بالجنون"

" لا أظنّ هذا... أنت فقط الذي لا تدرك ما حولك جيداً... "

" ماذا تقصد؟"

" .الكون .. الكون كله بلا معنى .. لأنني لم أمنحه معنى بعد ."

يتلفت بسرعة ومن مكانه المرتفع ينظر لما حوله:

" انظر حولك... أنا من يمنح النظام لكل شيء ..... هؤلاء هم الأتباع"

" ...إنهم قادمون..... يرقصون على إيقاعك..."

(يتوقف فجأة، عيناه المركبتان تتسعان..)

" إنهم أتباع حمقى فقط... فالكون "مســـرحية تافهة تتكرر أدوارها"، وكل الكائنات مجرد "حَمَلَة أشـــكال" عاجزين، بينما أنا وحدي فقط أمثل المحتوى الخالص... أنا الإرادة التي تسبق الشكل، والفكرة التي ترفض أن تتجسد في قالب ثابت."

" كلامك غريب ولا أفهمه"

" كل ما تراه العيون (الأشـجار، الحشـرات، الشـمس) هو "ملصـق" أو "قشـرة جمالية".... مهمتي هي تقشير هذه القشرة...لترى الفراغ الذي بداخلها .. "

" ما الفائدة .. "

" لكي تترقى... جميع الكائنات عاجزة عن الابتكار .. عاجزة عن الفهم ..عاجزة عن الرقي.. لا تدرك أنها ضـمن حلقة .. .. باسـتثنائي أنا .. أنا وحدي .. من كسـر هذه الحلقة.. لأنني أنا وحدي من يدركها فقط."

" وضح أكثر"

" انظر هناك .. إلى هذا المسـكين الذي يظن أن بإمكانه اسـتنسـاخ عبقريتي عبر حركات آلية مسبقة الصنع! إنه لا يغازل أنثى، بل يغازل فكرة الوجود نفسها، طالباً منها إعفاءه من عذاب التفرد."

" ربما يريد أن يكون مثلك .. يريد جسدك ليفهم سرّك"

(يضحك ضحكة عالية متعجرفة:)

" جسـدي ليس وعاءً للتكاثر، بل هو منشـور فلسـفي يكسّـر ضـوء الواقع إلى ألوانه الحقيقية: اللون الرمادي للعدم..... حركاته هذه ليست إلا صرخة صامتة ضد الفراغ الذي يكتشفه في داخله....إنه لا يريدها (يشير بالرأس للأنثى)، بل يريد أن يكون أنا، لكنه لا يملك إلا لغة الجسد التافهة للتعبير عن ذلك. ... إنه كالطفل الذي يصرخ لأنه يرى معادلة تفوق إدراكه..."

" حسناً.. وماذا عن ذلك الرجل الذي يقوم بحركات عشوائية غريبة"

"...إنه النسخة المشوهة مني في عالمهم الضخم الغبي."

" ربما...هو يرى... هو يعرف أن الملابس قيود..."

"نعم! لقد فهم الدرس، لكنه فهمه على طريقته البدائية.... هو لا يخلع القماش... إنه يحاول نزع الجلد الزائف! ...يحاول التخلص من "الشكل" الذي فرضته عليه قبيلته (البشر). إنه يصرخ: "انظروا! أنا لست هذا الهيكل اللحمي! أنا فكرة مجردة!" يا للإحباط! يا لسخافة الوسيلة!.."

(وبنبرة فيها شيء من الحسد والإعجاب المختلط بالشفقة يتابع حديثه)

"انظروا إليه... عارياً. مثلي! أنا لا أخفي نفسي خلف أي شيء.... هيكلي الخارجي هو أنا.... هو يحاول الوصول إلى هذه الحالة، لكنه مازال أسير شكل بشريته. ... حركاته الفوضوية... إنها رقصة تفكيك الذات... لو كان يعلم أن كل ما يفعله هو ترجمة حرفية مبتذلة لفلسفتي في عالمهم الثقيل، لربما توقف من الخجل... أو لربما استمر، لأنه وجد أخيراً "المعنى" في التقليد الأعمى للأسطورة التي لا يراها" (يشير إلى نفسه)

(يتوقف، ثم يبتسم ابتسامة بارانوية واسعة، ويهمس لنفسه)

"ما لم يكن...هذا كله جزء من الاختبار؟ هل أرسلوه "هم" (المراقبون الكونيون) ليقلدني ويجربوا إذا كنت سأغضب؟ هل هذه محاولة لسرقة نظريتي وتقديمها في قالب بشري تافه؟ احترس أيها الرجل-الدمية! أنت لا تعبث بـ"المحتوى الخالص" وتفلت... أنا أراقبك. ... وكل حركة من حركاتك العارية تؤكد فقط عبوديتك... وتألقي أنا... أنا فقط.."

"فالكون عبثي لأنني لم أقرر مصيره بعد، وجميعكم دمى في مسرحيتي العبثية، وأنا المؤلف والممثل والجمهور."

ثم ... (تتجمد فجأة على إحدى وريقات الشـــجرة العالية، لا تتحرك حتى قرون استشعارها، وكأنها تحولت إلى تمثال مرعب ينظر من علو).

النهاية

اليد الثالثة التي تطفأ البركان

أشعر بجسدي يشتعل.. النار تلتهمه.. علي أن أفعل شيئاً لأطفئه .."

إنهم حولي، يروننني الآن.. لا.. لا يمكن أن أفعلها أمامهم.. عليّ أن أسرع.

لا ليس هنا أيضاً.. لماذا جمعنا معاً في مكان صغير كهذا ..

ما هذا القدر، إنه قاسٍ جداً.

ما كان يفترض بي الرؤية في النهار.. الليل أفضل.

لم يبق أمامي سوى ..

أجل هنا .. لا أحد منهم..

لكن، ماذا عن الآخرون.

(تتلفت حولها)

لا .. لا يوجد آخرون، ثم تعطي الأمر، فتنطلق بسرعة متجهة لوجهتها المحددة التي اعتادت القيام بها دائماً..

لا .. لم أصل إلى الذروة، هل أفعلها هنا؟؟!!!.

تعاود النظر لما حولها بســرعة، وتعرقها يزداد بغزارة، ترتعش، ثم تزيل عوائق لم تكن بالكثيرة، لتصل للفوهة، لبرعم وردة مغلق لم يفتح بعد.

تتجول بحرية مطلقة، وبسـرعة، حتى ينتفض الجسـد، ويتصـلب ثم يرتخي، وتخرج بعلامات واضحة وأدلة تذكارية من تجوالها.

تعيد كل شيء لما كان عليه سابقاً، ثم تشعر بشيء من الفراغ.

تهمس لنفسها :

"لو كنت مختلفة لما كان حالي أصبح هكذا"

ثم أصوات وأصوات

" أنت .... عـ....."

تخرس الأصوات قبل أن تنطق بالكلمة التي لا تستسيغها أبداً..

النـهاية

عقلي في بلاد العجائب

" لقد انتهيت منها .. تبدو تحفة فنية"

"ها ها ها .....هل أضحك على نفسي؟! أم على هذا العقل الذي قرر أن يسكن بلاداً لا يراها سواه؟..."

" من الذي سيرى ما أفعله جميلاً أو به موهبة، لكنني مضطرة للقيام بما طلبه مني ذلك المعالج الذي ربما هو بحاجة لعلاج أكثر مني "

" ها قد انتهيت من لوحتي ... ولم تنتهي أعراضي .. "

" سئمت من كل أمر به .. كل ما حولي يبدو غريباً ومعتوهاً... بل ربما مشوهاً... مصطلح أفضل وأكثر تعبيراً.."

" آه .. هذا ما ينقصني .. أن يراني أحد وأنا أكلم نفسي . كي يضيفوا لقائمة التسميات التي وضعوها لي تسمية أخرى أكثر قسوة .. منذ تشخيصي بذلك المرض اللعين الذي لا أعرف لما أنا من بين كل العائلة قد أصبت به..."

" لما لم تصب به أختي أو أخي .. لما أنا فقط من بين الجميع .. هذا ليس عادلاً إطلاقاً.. "

" لأنظر من الشرفة ... ربما تنتهي .. لكنني ريثما أصل إلى نهاية الشرفة يكون النهار قد انجلى..."

" فلأحاول أفضل من الجلوس وانتظار انتهاء نوبتي المعتادة..."

" وأخيراً وصلت... لأمسك بالحديد الذي أمامي والذي أراه ملتوياً ومعوجاً... وكأنه ينحني دون توقف..."

" نجحت .. ربما بعض ما قاله لي معالجي صحيح إلى حد ما..."

(بصوت خشن تقلد به معالجها النفسي...)

" عليك أن تثقي بنفسك .. ولا تستسلمي .. حاولي وكرري المحاولة .. ستنجحين ..."

" والآن لأرى ... شجرة تتحرك من مكانها وتلتف على نفسها .. هذا رائع .. يكفي فقط أن ترقصي لأعطيك علامة كاملة .. ها ها ها ..."

" عنكبوت بحجم دبابة يمر أمامي متدلياً من خيطه الرفيع ...رائع! سلامي لك وأرجو لك رحلة موفقة... ترد يداها للخلف بخوف. هل أهشه؟ أم أنه فعلاً بحجم دبابة؟... تغمض عينيها وتفتحهما. ما بي؟ بالتأكيد هو عنكبوت صغير، وأنا فقط من أراه دبابة."

" أشعر وكأن سقف الغرفة المجاورة لشرفتي يرتفع فجأة لمسافة كيلومترات، ثم يهبط فجأة ليصبح على بعد سنتيمترات من رأسي. هل السماء هبطت على الأرض؟ أم أنني وحدي من أرى هذا التلاعب بالمسافات؟"

" قال لي معالجي ..

"ضعي بعقلك .. كل ما هو يخالف الطبيعي فهو من مخيلتك أنت فقط.. "

" ومن الذي يصنف لي الطبيعي من غير الطبيعي .. مجرد كلام فارغ يقوله ليمضي الجلسة... وينهيها ثم يقبض مبلغاً خيالياً... "

" جيد جداً.. رجل عملاق أراه يصل لشرفتي التي في الطابق الخامس.. هذا ما كان ينقصني .. جاسوس عملاق ...'

(تلتفت فجأة إلى يدها على السور، فتبدو وكأنها يد غريبة لشخص آخر، ضخمة وبعيدة.)

" أشعر بيدي تتقلصان الآن بعد أن كانتا تتضخمان... أفقد السيطرة على إحساسي بجسدي... "

(تلمس وجهها بيدها الأخرى التي تبدو طبيعية.)

" أين أنتهي وأين يبدأ العالم؟ سيهبط المبنى على رأس ساكنيه إن استمر هذا التلاعب. يا إلهي، ماذا أفعل؟! "

(تتعرق بشدة وتمسك بسور الشرفة بكلتا يديها.. وتجلس قرفصاء وتحاول السيطرة على نفسها وعلى تنفسها قليلاً..بعد لحظات من التنفس العميق ترفع رأسها.)

"هل ما أراه أمام شرفتي حقيقي؟! أم أن أعراض مرضي قد أصبحت أكثر خطورة وأكثر إباحية.؟!. "

(تحدق في نقطة بعيدة .. الرجل الذي يقف أمام مقلب القمامة)

" هل من ضمن مرضي أن أرى رجلاً عارياً..؟! "

(تفرك عينيها ثم تفتحهما على اتساعهما وتتنهد بعمق)

"هل قمت بتعرّيته .. أم أنه هو من تعرّى أمام الجميع .. "

" أووووه يا إلهي .. وهو أيضاً يمسك بألفه الذي أصبح أطول من خرطوم طويل .. إنه يسقي به كل ما هو أمامه... ويرسم أشكالاً غير مفهومة."

" العالم أصبح أكثر جنوناً مني ... ها ها .."

(ضحكتها تتحول إلى نشيج مكتوم)

" يكفي أنني لســـت وحدي من يراها الجميع مخبولة..فليأتوا جميعاً ولينظروا بأم أعينهم ...إلى هذه المهزلة.. "

" أشـعر أنني أطفو فوق نفسـي، أنظر إلى تلك الفتاة المرتعدة على الشـرفة من علٍ. هل هذه أنا؟ أم أنني شاهد فقط على فيلم يمر أمام عيني؟"

"هـا هو ذا... يمر... كـالعـادة. يزورني بقوة، ثم يتركني محطمـة كـدميـة محشـــوة بالقطن. "

(تنظر إلى اللوحة التي انتهت منها قبل النوبة.)

"تبدو تحفة فنية.".. قالها المعالج.

" لكنها ليست سوى خريطة لفوضى رأسي. ألوان صارخة وخطوط معوجة، يحسبها البعبع إبداعاً."

(تتوجه نحو اللوحة بخطوات متثاقلة.)

" بما كان المعالج محقاً في شـــيء واحد... أن هذه اللوحة هي الجســـر الوحيد بين عالمي الملتوي وعالمهم 'الطبيعي'."

" ربما، فقط ربما، إذا استطاعوا رؤية العالم من خلال عيني ولو لثانية..."

(تمسك بالفرشاة وتضيف خطاً متعرجاً أخيراً.)

"سأريك يا عالم، كيف تبدو الحياة حين تنحني الجدران وتتكلم الألوان."

" لن تزول أعراضي، لكنني سأتعلم أن أرسم لغتي الخاصة في هذه البلاد العجيبة."

النهاية

نميمة يومية

"أترين ما أرى؟!!!!"

"ما الذي ترينه؟! .. دعيني أرى .."

(تحمر وجنتاها وتمسك بهما بكلتا يديها)

" أووه .. يا إلهي .. ما هذا .. إنه شيء لا يصدق.."

(الأخرى تحاول من بين أصابعها صنع خندق لترى العين من خلاله جيداً ..)

" هذا الجنون. بذاته ... أي انحلال قد وصلنا إليه..."

" أخبرتك سابقاً.. أن هذا الحي قد أصبح سيء السمعة ولم تصدقي كلامي .. وقلت عنه إشاعات وتأولات واختلاقات ... انظري بنفسك الآن"

" لم أكن لأصدق لولا أن رأيت بعيني .."

(تصرخ الأخرى وتحاول مع صراخها إغماض عينيها مع السماح لقليل من الرؤية بالمرور كجواز سفر تلبي شهوتها)

" أيها المجنون .. أيها الأحمق .. يا ابن الحرام .. ماذا تظن نفسك فاعلاً... سأتصل بالشرطة .. هم وحدهم من يسعهم التعامل مع مخبول مثلك .. هيييه.. أيها المجنون ألا تسمعني"

(مع بصاق وسيل من الشتائم يهطل من شرفة أم سعيد التي تطل على الشارع العام الذي يقبع بمنتصفه مقلب القمامة ومن أمامه يرقد مقام الولي عبد الله)

(رغم عدم اهتمام الطرف الآخر.. وربما عدم سماعه ما يقال رغم الصوت الشديد الارتفاع.. تظل أم سعيد تلقي بسيل شتائمها عليه.. ربما رغبة في الحصول على مشهد إثارة أكبر قبل الاعلان عن إنتهاء المشهد وإغلاق الستارة.. ومع حديثها الشديد الرطوبة ... تشعر برطوبة أخرى تنساب من بين قدميها اللتين تلصقهما معاً بقوة)

(ثم تنظر لمحدثتها .. جارتها أم علي في الحي الآخر التي لبت الدعوة أخيراً وأتت لزيارتها في منزلها)

" سأتصل بالشرطة حالاً..."

" أي زمن قد وصــلنا إليه .. فليرحمنا الله.. ســيحل علينا غضــبه .. لن ننجو .. لن ننجو .. يا لطيف ألطف بنا يارب"

(وبينها وبين نفســـها ... تتمنى لو كان زوجها يمتلك نصـــف ما يمتلكه هذا العاري الماثل أمامها)

" أخبرتك .. هل شاهدت بعينك ؟ .. هل صدقتي الآن؟"

" أجل .. أجل .. اللهم ارحمنا"

" اقتربي وانظري .. إنه يرقص .. لا . لا يعقل.. هل سيفعلها في منتصف الشارع"

" ماذا .. ماذا فعل؟؟.. "

" لا يجوز .. يا إلهي اغفر لنا .. نحن مضطرتان لمشاهدة هذا الفسق والفجور"

" أووووه .. هذا مقزز"

" إنه يلوث المقام .. ماذا نفعل؟؟؟"

(تعود للصراخ مجدداً.. وكأن من أمامها يصغي جيداً)

" سيعاقبك الله على فعلتك .. أيها النجس .. لقد دنست المقام .. لن يغفر الله لك .."

(وكأن المقام كان محاطاً بالزهور والأشـــجار وروائح عطرة تفوح حوله .. وليس قمامة ملوثة وممزقة الأحشـــاء ... تتناثر محتوياتها في كل مكان .. بألوانها القذرة وروائحها المتعفنة.. والحشــرات التي تحوم حول المكان تجعل المشــهد أكثر جمالاً وجاذبية..... حتى أن أحداً منهم لم ينتبه على اكياس اللحمة المرمية هنا وهناك حول المقام وكأنه شيء اعتيادي أو قربان اعتاد المقام على أخذه ليدعو لهم بالهلاك وبئس المصير)

(تعاود الصــراخ بعد أن اجتمع حشــد من الرجال المهتمون بالحي... والذين قلوبهم مليئة بالإيمان .. فتأخذهم الشــهامة .. ولا يحبذون رؤية هذه المشــاهد الإباحية على العلن .. فيسرعون لإخماد نار الإثارة والرغبة...)

" هيا .. أمسكوه .. علموه الأدب .."

" ها قد ارتحنا منه .."

(تتنهد الجارة أم علي .. وربما كانت تتمنى هي وجارتها أم ســعيد لو اســتمر الأمر قليلاً بعد .. فلماذا السرعة ..)

" انظري ها قد أتت سيارة الإسعاف.. "

" هل أتت من أجله؟!"

" ربما ... لا أدري .. دعينا نرى .. لا تستبقي الأحداث ..."

" بردت القهوة .. هل يمكنك تسخينها من جديد .. "

" حسناً.. لكن ليس الآن .. سيفوتني كل شيء.."

" معك حق .. "

" لقد كبلو يديه ... من هو يا ترى .. "

" لديكم مجانين كثر في حيكم.."

" ألم أخبرك... ها هو رجل آخر يقيد وهو يصرخ.."

" جيد أنك أتيت اليوم .. "

" هذا من حسن حظي .."

(استدارت أم سعيد لتلبية طلب جارتها أم علي .. لتعد لها قهوة ساخنة جديدة تتلاءم مع المشاهد الحماسية التي تعرض الآن في أسفل الشرفة)

(لكنها تعود فوراً.. وتلتفت بعد أن تسمع صراخاً عالياً.. تلاه صوت ارتطام قوي بالأرض)

" حسبي الله ونعم الوكيل .. لا إله إلا الله .. إنا لله وإنا إليه راجعون "

أم سعيد..

" ماذا ماذا حدث؟؟! .. ما هذا الصوت؟؟!!"

" تعالي بسرعة وانظري .. جارتك في المبنى المقابل .. لقد رمت بنفسها للأسفل.. أووه يا إلهي إنها كما ولدتها أمها .."

" ألا يكفيها جحيم الدنيا ... حتى آخرتها إلى النار.."

" هل هي من كلمتني عنها .. من يضربها زوجها كل يوم .."

" أجل أنا أسمع كل شيء من هنا .. رغم بعد المسافة .. أراهن أنه يعتدي عليها كل يوم .. إنه جزار.."

" كيف ارتبطت برجل مثله .. إنها جميلة وصغيرة جداً.."

" إنه الطمع يا حبيبتي .. رغبت بالمال فقط .. انظري ماذا حل بها ... سيكون مصيرها نار جهنم بالتأكيد "

" الله يحسن خاتمتنا "

" اللهم آمين "

" لقد نالتها الفضيحة في الدنيا والآخرة .. لا حول ولا قوة إلا بالله..."

" الله يستر علينا يارب"

" الله يسمع منك ويبعد عنا ولاد الحرام "

(تخفض أم سعيد صوتها قليلاً.. لحديث تحسبه جنسي أكثر من اللازم)

"إنها تمتنع عنه .. لذلك يضربها .. شايفة حالها عليه .. ما بعرف على شو"

" حتى لو حلوة .. في أحلى منها بكتير.. وبعدين ليش تزوجت إذا ما بدها تعطيه حقوقه..."

" أكيد بتقرف من ريحته .. "

" ليش هي شو بتشتغل .."

" خبرتك شو نسيتي .. طبيبة"

" معقول هالحكي .. طبيبة شو بدها بواحد جزار .."

" ما قلتلك أكيد بالموضوع في قصة.. والله أعلم"

(تبصق أم سعيد في ملابسها الداخلية .. كنوع من إبعاد سوء الظن أو سوء السمعة)

" معقول .. معقول يكون في بينهم شيء قبل الزواج.."

" استغفري ربك يا أم علي .. نحنا ما بنحكي بأعراض الناس .."

" أســتغفر الله العظيم .. الله يســتر علينا .. ويثبت علينا العقل والدين .. وما يتوهلنا عقل يارب"

النـهاية

بعبعي الخاص

"إنها ضخمة جدا .. أليست فيل؟؟!!!"

" وهل نحن بحديقة حيوانات أم سيرك لترى الفيل أيها الأحمق؟!!!"

" لكنها ضخمة جداً ومنتفخة .. ظننتها فيلاً... ماذا تكون يا ترى؟!!!"

" بالتأكيد ستكون دبابة .. ألا تسمع صوت محركها المعطل؟!!"

" وأنت ما أدراك أنه معطل؟!!"

" لأنه يأز فقط .. وز وز وز ... ألا تسمع ؟!!"

" ولماذا لا يتوقف اذا كان معطلاً؟!!"

" أسئلتك غريبة هذا اليوم ... لن يتوقف بالتأكيد ... هذا عمله "

" هل عمله ازعاج الناس؟!"

" وما الذي يزعجك بصوته؟!"

" إنه يؤذي سمعي ... لم أعد مرهف السمع بسببه"

" هل تبكي؟!"

" وما أدراك ؟؟!!"

" أسمع صوت أنينك "

" لا ليس صوتي .. إنه صوتك أنت "

" هل تمزح معي؟!... أنت الذي تبكي .. ها قد ثبتت الرؤية .. إنها تجري على وجنتيك"

" ليست دموع .. إنها فقط استخراج ما دفن في الباطن .. وقلع ما غرس من عفن .. إنه دواء لكل داء.."

" ومن أين جئت بهذه الحكمة يا ترى؟!"

" لأنني منذ عميت عن الرؤية ومنذ أصمت عن السمع.. ومنذ اعتزلت من حولي .. بدأت أرى وأسمع وأخالط من حولي جيداً.."

" وكيف يحدث هذا يا فيلسوف عصرك وزمانك!!!"

" لأنك ترى بقلبك .. وتسمع بعقلك ... وتستشعر من حولك وتعاشرهم بخلايا جسدك وبكل مسام على جلدك.. فعندها فقط

ترى بأعينهم وتسمع بأذنيهم ... وتستشعر هيجاناتهم بنفسك .."

" رائع .. لقد جعلتني أفوق بعد كل ما تجرعته من هذا السم أمامي"

" وما فائدته .. إن كان لا يصلح كمقلاع لقلع ألمك "

إن كان ما تمر به عصياً على الفهم .. وسبباً للحزن والألم .. ومصدراً لقلق مبهم ... فأنت بالتأكيد محاط بفيل ضـــخم يجتاح حياتك الســـاكنة ويجعلها في تيار هائج دون توقف .. وتبقى تســـأل فقط ..ماذا فعلت لها؟!!! .. كنت فقط مجرد عابث يحاول أن يقاوم أن يحارب أن يجدد.. لكنها لا تحبذ التجديد . وتكره التغيير.. هل رأيت لما لا نحب الطفل العنيد؟!! لأننا مضــطرون دائماً لنشــرح له ماذا يفعل؟ ولماذا يفعل هذا؟ ولماذا لا يمكنه أن يفعل؟!

وكنت أنا هذا الطفل العنيد الذي بلغ .. فكانت كبعبعي .. أحاطتني بكل قوتها حتى دمرتني ودمرت ما كنت أعده شيئاً جميلاً في داخلي...

النهاية

من منّا لم يمر أو يشعر يوماً بالقلق .. القلق على المستقبل .. على الحاضر .. على القريب .. على الحبيب ..

من منّا لم يكن يوماً يمر بضغوط وظروف وأحداث ضاغطة ومؤلمة جعلته ينهش نفسه من الداخل ..

ألم يحن الوقت سيدي القارئ أن تتوقف .. أن تعطي نفسك فرصة التنفس

لم تعد تحتمل .. ولم تعد للحياة طعم ..

فلما لا تتوقف ..

دع كل ما حدث يمضي .. لا تجتره اجتراراً .

لا تكن مثلي ....يعيد في ذاكرته ومخيلته تفاصيل دقيقة لكل حدث مؤلم . لكل ذكرى حزينة .. لكل فراق .. لكل اشتياق..

ما الجدوى من كل هذا ؟!!

لم أنهل في النهاية سوى

. حرقة في المعدة

. صداع شديد يفتك بدماغي

. تشنجات وآلام شديدة في قلبي

. تنميل في جسدي

. يأس وقنوط وكسل وعدم رغبة

لذا يا صديقي .. دعك من كل شيء.. دعك من كل ما هو حولك..

دعك من القيل والقال

دعك من نظرة المجتمع

ففي النهاية لن يشعر بك أحد

أنت وحدك من تتعذب

نفسك الوحيدة التي تعاني

وأنا هنا لأنني أرغب أن تصل للسكينة